ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Cultural Life in Mesopotamia

Nour Abdel Muttalib Mahmoud

University of Mosul / College of Basic Education / Department of History

Emad Abdel Aziz Youssef

University of Mosul / College of Basic Education / Department of History

* *Corresponding author: E-mail* :اميل الباحث

Keywords:
Culture
Law
Iraq
Symbols

ARTICLE INFO

Article history:
Received 1 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 2 Dec 2024
Final Proofreading 2 Mar 2025
Available online 3 Mar 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ABSTRACT

The culture of Iraq is one of the oldest cultures in the world historically. It is the place that was called ancient Mesopotamia and the birthplace of ancient civilizations, which left a clear impact on world civilizations in the invention of cuneiform writing, city planning, and the development of the science of law in the ancient world.

Iraq has a very rich heritage and is known for its abundance of intellectuals throughout history in various specializations.

Unlike many countries in the Arab world, Iraq embraces and celebrates the achievements of its past in the Babylonian, Assyrian, Sumerian and Akkadian eras, where the discovered antiquities confirm an ancient civilization that prevailed and then disappeared in Mesopotamia. Here is an attempt to highlight the pioneering and civilizational role of Mesopotamia through the culture of Mesopotamia and how it affected civilizations and the world as a whole.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.3.7.2025.09

الحياة الثقافية في بلاد الرافدين

نور عبدالمطلب محمود / جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية
عماد عبدالعزيز يوسف/ جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية

الخلاصة:

ثقافة العراق واحدة من أقدم الثقافات في العالم تاريخياً وهو المكان الذي يطلق عليه قديماً بلاد ما بين النهرين وموطن نشأة الحضارات القديمة والتي تركت أثرها الواضح في حضارات العالم في اختراع الكتابة المسمارية وتخطيط المدن وتطور علم القانون في العالم القديم. والعراق لديه تراث غني جداً ومن المعروف عنهُ كثرة المثقفين عبر التاريخ في شتى التخصصات.

ويحتضن العراق على عكس العديد من بلدان العالم العربي ويحتفل بإنجازات ماضيه في العصور البابلية والآشورية والسومرية والأكدية، إذ تؤكد الآثار المكتشفة عن حضارة عريقة سادت ثم بادت في وادي الرافدين.

وهنا محاولة لإبراز الدور الريادي والحضاري لبلاد وادي الرافدين من خلال الثقافة لبلاد الرافدين وكيف أثرت في الحضارات والعالم بأجمع.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، القانون، العراق، الرموز.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى مناقشة فرضيات عدة تحاول ايجاد الحلول لها وهي تبيان الدور الأساسي لبلاد الرافدين ثقافياً وحضارياً وأثره في بقية الحضارات.

أسئلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة على:

1- امكانية اعتماد النتائج المترتبة من خلال الاعتماد على المصادر المنوعة في هذا الموضوع.

2- هل استطاعت الحضارة والثقافة لبلاد الرافدين تحقيق أهدافها وتأثيرها في المجتمع في الداخل وعلى الحضارات الأخرى في الخارج؟

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي موضوع الدراسة وفيه يتم التركيز على المعلومات التاريخية وفق معطيات تاريخية علمية تهدف إلى توضيح أهمية المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة هذا الموضوع.

مصادر الدراسة:

جاءت الدراسة بالاعتماد على مصادر منوعة ذات علاقة بالموضوع من كتب عربية ومعربة ودوريات.

Study objectives:

The study aims to discuss several hypotheses that try to find solutions to them, which is to clarify the fundamental role of Mesopotamia culturally and civilizationally and its impact on the rest of civilizations. The study attempts to answer:

1- The possibility of adopting the resulting results by relying on various sources on this topic.
2- Was the civilization and culture of Mesopotamia able to achieve its goals and impact on society at home and on other civilizations abroad?

The study relied on the historical-analytical approach, the subject of the study, in which the focus is on historical information according to scientific historical data aimed at clarifying the importance of the information that can be relied upon in studying this topic.

الأصول التاريخية للثقافة في بلاد الرافدين :

كثير من العلوم والمعارف والآداب والفنون التي ازدهرت في بلاد وادي الرافدين ولها تأثير كبير في العراق والبلاد المجاورة، وقد اثبت الباحثون هذا التأثير من خلال السبق الزمني لآداب وعلوم وادي الرافدين القديم ووجود الاتصالات التاريخية، وتحديد الطرائق التي انتقلت فيها الكثير من العناصر والمقومات الحضارية ومنها التجارة والحروب والفتوح والاسفار، وأن هذه العلوم والآداب منهل لا ينضب استقت منه الأمم والشعوب أسس حضارتها واتجاهاتها وعقائدها الأساسية، فهو في رأي الباحثين يعد اصدق ما نقل عن أحوال اقدم المجتمعات الإنسانية وعقائدها ونظرتها إلى أصل الأنبياء والآلهة وانظمة الحكم، وأن نتاجات بلاد الرافدين في الأدب كان يتجه اتجاها اسطورياً شعريا ونمطهم في التفكير كان يتجه اتجاها فلسفيا يستند إلى الاستدلال والنقد والاستنساخ المنطقي والتأمل والنظر في الأشياء (باقر، 1980، 4).

كذلك يتميز أدب وعلم بلاد الرافدين بأن العراقيين هم دونوه بأنفسهم بمعنى أنه لم يتعرض إلى التغيير والتحريف والتحوير والحذف والإضافة حتى عند استنساخه من لدن النسّاخ القدماء على الواح الطين، فقد تناول أدب بلاد الرافدين القديم مواضيع متعلقة بجوانب حياتهم كافة وكانت على قدر كبير من الأهمية في تاريخ تطوير الإنسان؛ لأنها أولى وأقدم محاولات من نوعها في تاريخ النوع الإنساني، إذ

أنها عبرت عنه الخبرات الإنسانية الأولى بعد انتقال الإنسان إلى طور الحضارة والمدينة وأن هذا قد انتج قطعاً أدبية تتسم بالصفات المميزة للأدب الأصيل المبدع مهما كانت المعايير التي تقاس بها (الأعظمي، 1997، 8). والذي ساعد على هذا كله ذلك الاختراع الذي ظهر في حضارة وادي الرافدين، وهو اختراع نظام التدوين الذي يميز الإنسان المتحضر، والكتابة التي يجعلها مؤرخو الحضارة مرادفة للحضارة وبداية للعصور التاريخية بل إنها جوهر الحضارة والعامل الحاسم في تقديم الإنسان وتطوره بنقل تجارب الأجيال وعلومها ومعارفها من جيل إلى آخر، فيضيف له الخبرات ويعمل على تطويرها وبذلك تستمر عجلة التقديم الحضاري، وعند البحث في دور العلم والمعرفة في بلاد الرافدين يؤكد بشواهد لا تقبل الشك أن أفضل اختراع في بلاد الرافدين مبتدئاً بالكتابة يعد الأساس لاستقرار حضارة وادي الرافدين بحسب أدق الاحتمالات في شؤون الحياة والعلم في الوقت الحاضر. لقد كانت جميع الأمم تعيش في دياجير الظلام والتخلف ولا بد أن يكون هذا مرتبط بخصوصية تهدف إلى الأغراض التربوية التي تسهم في امتلاك قدرة المعرفة وتساعد على تحصين الإنسان بما يعزز في نفسه ويقوي في داخله روح الانتماء والوفاء لهذه الحضارة، إذ أن عملية التدوين الكتابي ابرزت المسيرة الحضارية في الماضي وخصائصها منذ القدم والأسس التي قامت عليها وجذور مقوماتها التي كانت سبيلاً لمعرفة هذه المكونات وتستمد حضارة بلاد وادي الرافدين من جذورها الممتدة عميقاً في تربة هذه الارض. وأما العلوم والمعارف الأخرى فيمكن ارجاع جذورها في تاريخ الإنسان إلى عصور ما قبل التاريخ البعيد منذ بدأ الإنسان بصنع الآلة ممثلة بالأدوات والآلات الحجرية واستخدام النار، واخذت هذه المعارف العملية بالازدياد والتنوع بعد ذلك وانتهى بظهور الحضارة الناضجة الأصلية (بروكلمان، 1997، 5). وتعد حضارة وادي الرافدين احدى الحضارات القديمة القليلة التي أطلق عليها المؤرخ الشهير (توينبي)، مصطلح الحضارة الأصلية أو الأصيلة .. وهي الحضارات التي لم تشتق من حضارة سابقة لها بل انها نشأت وتطورت منذ عصور ما قبل التاريخ، وهي قليلة العدد في تاريخ الإنسان ولن يتكرر ظهورها عند البشر على اغلب الاحتمالات وفي مقدمتها حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل (باقر، 1980، 9-10).

كما أن الحديث عن حضارة وادي الرافدين طويل ومتشعب، فقد كان العراق بحق مهد الحضارة، ومهبط الإلهام الأول، ففي ربوع اقسامه الشمالية بدأت اولى المحاولات الحضارية من زراعة وغيرها وعلى شواطئ نهريه العظيمين دجلة والفرات وروافدهما نشأت وتطورت أولى المدن والمراكز الحضارية وفيها كانت أولى محاولات الإنسان في الكتابة والتدوين والتربية والتعليم وتدوين التاريخ والقانون والعلوم والفن والأدب، وعدت تلك المحاولات الأساس الهندسي الذي قامت عليه الحضارة العراقية القديمة، فكان كل هذا صورة فكرية للإنسان ومستواه الحضاري واداة التعبير، ومنذ بداية التدوين كان التوجه الذكي يربط بين الفكر والمران على الكتابة. كذلك كانت الكتابة عند العراقيين القدماء تعبيراً ذهنياً (عن ذهنية) خاصة متوارثة إذ كانوا يدركون حقائق بعض الأشياء وكأنها موجودة في إدراك الهي وكأنها صورة مشابهة وهي

ليست وجوداً محسوساً وإن لكل لفظة قيمة موضوعية خاصة تحددها العلاقة المبدئية. وأما اللغة فكانت بداية الحياة الإنسانية؛ لأنها اضافت الطابع الإنساني للإنسان واستطاع الفكر أن يدرك الأنواع بعدّها متميزة عن الأشياء الجزئية ولولاها لبقي الفكر في الأشياء الجزئية أو الخبرات الجزئية.

ومن خلال اللغة استطاع الإنسان أن ينقل للآخرين المعاني التي يفكر بها وتخيلها، فهي أصوات ينطقها المرء بعد أن يشترك في اخراجها عناصر عدة، ويمكن عدّ اللغة احدى الظواهر الإنسانية والتي بدأت في اقدم صورها بفعل غير منظم وبعيد عن الوضوح وقد مارسها الإنسان القديم منذ نشأته بشكل تدريجي ومارس استعمالها قبل تدوينها بفترة زمنية كبيرة. وإنّ الكلام المكتوب أي فن الكتابة هو الترجمة الأولى لفكر الإنسان بما يحتويه من معارف وخبرة علمية أو مهنية كانت أم تطبيقية، فكان العراقيون القدماء هم أول من توصل إلى هذه التجربة الرائعة التي كانت تعتمد على تراكم الخبرات. وكان من أهم روافد الأدب والتعليم في حضارة وادي الرافدين هم الكتبة البابليين الذين كانوا اكثر كثيراً من كونهم نسّاخين فحسب وقد ألف كثير من الكنز الأدبي الواسع الذي وصلنا من ذلك العصر القديم في مدارس تدريب الكتبة ولعل المساهمة الأكبر كانت لكتبة العهد البابلي القديم، الذين لم يحافظوا على التراث الأدبي والتاريخي للعراقيين فحسب بل انتجوا هم انفسهم بعض أنواع الكتابات المفعمة بالحيوية في العالم قبل الإغريق والرومان (اوتس، 1990، 250).

ولا يفوتنا القول أن اللغة الأكدية التي تعد أقدم اللغات العربية القديمة من حيث نصوصها المدونة، إذ دونت اخبار السلالة الأكدية التي حكمت في العراق حدود منتصف الألف الثالث ق.م ثم اللغة البابلية والآشورية، وإن مصطلح اللغة الأكدية يفهم منه بوجه عام اللغتان البابلية والأشورية (باقر، د. ت، 19).

اللغة :

تعد اللغة السومرية لغة سكان العراق الأوائل واقدم لغة مدونة معروفة لدينا وهي غريبة في مفرداتها وتراكيبها إذ لم يتمكن العلماء بعد من تصنيفها أو إرجاعها إلى صنف من أصناف اللغات البشرية وهي ليست من عائلة اللغات الجزرية (السامية) ولا من عائلة اللغات الهندواوربية. وربما تنتمي إلى عائلة لغوية قديمة انقرضت جميع لغاتها من مضمار الاستخدام باستثناء اللغة السومرية وذلك قبل أن تخترع الكتابة بعدّها وسيلة للتدوين. وكانت اللغة السومرية لغة اقدم الألواح الطينية التي تحمل علاقات كتابية مفهومة اللغة، وبذلك يكون السومريون مخترعو الكتابة وانهم كانوا أصحاب أول حضارة تاريخية وبذلك تكون اللغة السومرية اقدم اللغات المشرقية من حيث تاريخ التدوين بل أنها اقدم اللغات البشرية من حيث تاريخ التدوين. تمتاز اللغة السومرية بأنها من اللغات الملصقة أي التي لها القابلية على تكوين ألفاظ ذات معان جديدة بلصق كلمتين أو أكثر مع بعضها، وهي غير قابلة للتصريف أي إنها ليست من اللغات

المعربة وجذورها بصورة عامة لا تتغير أما وحدتها القواعدية الأساسية فهي المركب اللفظي وليس الكلمة المفردة. وأصوات اللغة السومرية تتألف من حروف صحيحة وحروف علّة ومن قواعدها إسقاط الحرف الصحيح إذا جاء في نهاية الجملة ولم تتبعه أداة نحوية تبدأ بحرف علة وإذا أعقبته أداة تبدأ بحرف علّة يتكون من حرف العلّة والصحيح مقطع صوتي جديد. ولا تفرق اللغة السومرية بين المذكر والمؤنث وقد تضاف أداة لتحديد جنس الاسم في حين هناك تفريق بين العاقل وغير العاقل. أما العدد فهناك المفرد والجمع وقد يضعف الجذر للإشارة إلى الجمع أو تضاف أداة خاصة بالجمع. والفعل في السومرية نوعان أصلي ومركب وهناك ثلاثة أنواع وهي المتعدي واللازم والمبني للمجهول وللفعل زمان ماضي ومضارع فضلاً عن الأمر (رشيد، 1972، 23-33).

لقد استخدمت اللغة السومرية لغة تخاطب وتدوين ولغة رسمية في البلاد منذ أن دونت وحتى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد وتقلص استخدامها نسبياً في عهد الدولة الأكدية (2334-2154ق.م) عندما أصبحت اللغة الأكدية، وهي لغة جزرية تختلف تمام الاختلاف عن اللغة السومرية، لغة رسمية في البلاد دونت بالخط المسماري، نفسه الذي ابتدعه السومريون وفي سلالة اور الثالثة (2112-2006 ق.م) عادت وانتعشت اللغة السومرية إلا أن غلبة الأقوام الامورية الجزرية الأصل منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد وانتشار استخدام اللغة الأكدية وغلبتها نتج عنه تقلص تدريجي في استخدام اللغة السومرية ومع أنه لم يبق للسومريين أي كيان سياسي، إلا أن لغتهم ظلت تستخدم في المجالات العلمية والدينية (دوبلهوفر، 1983، 227)، وكانت هناك حركة واسعة لترجمة النصوص السومرية إلى اللغة الأكدية فالفت المعاجم اللغوية (رشيد، 1972، 27).

واللغة الأكدية ليست كبقية اللغات الجزرية التي تتألف كل لغاتها من 22-30 حرفاً ولكن الأكدية تستعمل الكتابة المسمارية التي تحتوي على ما يقارب من (600) مقطع صوتي وهي مشتقة من السومرية والأصوات تحتوي على الحروف التالية: ب-ج-د-كـ-خ-ك-ل-م ن-ب-ق-ر-ش-ص- وحروف العلة -ا-ي-و-إي وهذه قد تكون طويلة مثل مثيلاتها في اللغة العربية أو قصيرة مثل الحركات في اللغة العربية. والاسم له جنس مذكر ومؤنث، مفرد ومثنى وجمع ويكون في حالة رفع – نصب – جر، الأسماء المؤنثة بإضافة (آت) أو (ت) إلى مصدر الاسم، والفعل يكون ماضيا ومضارعا وقد يكون مجرداً أو مزيداً والمزيد يكون لإعطاء معنى للفعل وهناك أيضا صيغة الأمر التي تستعمل للمخاطب فقط. مما تجدر الإشارة إليه أن اللغة الأكدية لم يقتصر استخدامها على بلاد الرافدين بل انتشر استخدامها في بعض البلدان المجاورة مثل بلاد عيلام وأجزاء من أسيا الصغرى وبلاد الشام، بل غدت لغة دبلوماسية بين حكام وملوك الشرق الأدنى القديم في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، وظلت بالاستخدام طوال الألف الثاني والجزء الأعظم من الألف الأول قبل الميلاد حتى غلبتها اللغة الآرامية كما أشرنا أعلاه وبقي تاريخ اقدم النصوص المسمارية المدونة باللغة الأكدية إلى القرن الأول الميلادي إلا أن

استخدام اللغة الأكدية لغة تخاطب وتدوين تقلص تدريجياً نتيجة وقوع العراق تحت الاحتلال الأجنبي في أعقاب سقوط بابل عام 539 ق.م. ومع هذا فإن اللغة الأكدية تعد أقدم اللغات الجزرية من حيث تاريخ التدوين وكان لذلك أهمية كبيرة في فهم اللغة العربية وغيرها من اللغة الجزرية (سليمان، 1991، 338-343).

اختراع الكتابة :

بعد أن تعلم الإنسان الزراعة وتعود على الاستقرار، بدأ ببناء بيته قرب الأنهار، وبدأ يتأقلم مع بني جنسه كجماعات الإنسان وتوزعت الأعمال على افراد الجماعة الواحدة نتيجة للتطور الزمني. فكان منهم البناء، والاسكافي والحداد .... وهكذا نشأت مدن كثيرة وأولى المدن القديمة نشأت في بلاد الرافدين (ناصر، د. ت، 9)، وفي وادي النيل من عصور ما قبل التاريخ في أواخر الألف الرابع ق.م (باقر، 1980، 9).

ولقد عرف الإنسان منذ فجر التاريخ اشياء كثيرة مفيدة كالزراعة والصناعة ....، لكن تبقى الكتابة هي أهم ما اخترعه الإنسان ولولا الكتابة لضاعت المخترعات الأخرى وطواها النسيان (ناصر، د. ت، 9-10)، وبذلك كانت الكتابة صورة الانسان الفكرية وأداة للتعبير عن الحاجة (سلمان، 2008، 27).

لذا شهد بلاد الرافدين وعلى وجه التحديد بلاد سومر ظهور أقدم وسيلة للتدوين سنة 3200 ق.م، ,وتعد الواح الطبقة المكتوبة التي عثر عليها في الطبقة الرابعة في مدينة الوركاء من أقدم النماذج المكتشفة لحد الأن. إن ظهور الكتابة في بلاد سومر يرجع بالدرجة الأولى للحاجة الملحة لوجود وسيلة لحفظ سجلات بواردات المعبد المتزايدة وبمدخولات المدينة السومرية التي اصبح اقتصادها في نحو مستمر، فالكتابة حافظة ذاكرة الأجيال، ومنذ اختراعها والمعرفة لا تقتصر على جيل أو جيلين بل أن كل جيل يضيف بصمات جديدة عليها (حنون، 2001، 16-17).

ولقد اصبحت الكتابة الواسطة التي انتقلت بموجبها جميع التجارب والافكار والقيم والتعاليم والعلوم والمعارف من جيل إلى جيل عبر العصور التاريخية فحفظت بذلك سجل تاريخ الإنسان الذي غدا وكأنه ذاكرة البشرية يفيد منها البشر اينما كانوا وفي أي مجال أرادوا (سليمان، د. ت، 109). وبمعرفة الإنسان للكتابة بدأ الاعتماد على المصادر المكتوبة كنصوص الحكام والملوك (الحوليات)، والاساطير والادعية والترتيل والنصوص اللغوية والقانونية والاقتصادية ..... الخ (الأحمد، 1978، 71).

إن أهم انماط الكتابة التي ظهرت في بلاد الرافدين، سميت بالكتابة المسمارية أو الخط المسماري، نسبة إلى القلم الذي يشبه المسمار، وهو مصنوع من المعدن المدبب، وله شكل مثلث منشوري

(إسماعيل، 1997، 114). أو بواسطة قصبة محدبة أو اقلام خاصة من القصب أو قطعة من الخشب ذات حافة مسطحة والتي كانت تستخدم في الكتابة (بايك، 1972، 122).

بدأ السومريون الكتابة أولاً على الطين الرطب اللين لتثبيت الرموز عليه بواسطة اداة صلبة ومسننة واستمروا على استعمال هذه الطريقة في الكتابة (ملرش، 1971، 38)، والمعروفة أن الكتبة الأشوريين استخدموا بالإضافة إلى (باقر، 1980، 20).

الواح الطين والالواح العاجية والرقوق الجلدية (باقر، 1980، 20)، إلا أنهم لم تكن لديهم الأدوات الكتابية التي كان يستعملها المصريون فلم يكن عندهم ورق البردي ولا المداد الذي اخترعه علماء وادي النيل وكتب به المصريون القدماء على الأوراق والجلود (ولفنسون، 1929، 39).

ومن الجدير بالذكر فقد استخدم السومريون الطين كمادة اساسية للكتابة عليه نظراً لماله من إيجابيات (سليمان، د. ت، 115)، إذ أنه يقاوم التلف ولا يتأثر بالحرائق بل على العكس تزداد قوته نتيجة الحرق، فضلاً عن كونه ماده رخيصة تدوم مدة طويلة (ليو اوبنهايم، 1986، 292). إلا أن لاستخدامه سلبيات كثيرة منها سرعة تكسر الرقم، الطينية وتحطمها مفخورة كانت أم غير مفخورة وبالتالي فقدان اجزاء مهمة منها (سليمان، د. ت، 115)، ولا يمكن كتابة نص مطول على الواح الطين (باقر، 1956، 127)، وذلك لثقل وزنها وصعوبة حملها ونقلها مما استوجب استخدام رقم طينية صغيرة وبالتالي اختصار النصوص المراد تدوينها فجاءت النصوص المسمارية غالباً موجزة ومقتضبة احياناً ولا تتطرق إلا للأمور ذات الأهمية (سليمان، د. ت، 115). فضلاً عن أن الألواح غير المشوية جيدا يندر الحصول عليها من الارض بشكل سليم بل أنها تكون عادة بشكل كسرات وكثيراً ما تكون مهشمة وبقطع صغيرة (كريمر، 1971، 46). واستخدمت شعوب وادي الرافدين الصلصال (روثن، 1980، 19).

كما استخدموا المادة الوحيدة الموفرة لديهم وهي الطين بينما نجد مناطق أخرى استخدمت البردي والجلود للتعبير عن الفكر عبر رموز متفق عليها كمناطق وادي النيل. إن ما اكتشف من الواح حتى الآن هو جزء ضئيل قياساً لما يوجد مطموراً تحت الارض، ولكن ما اكتشف من الواح إلى الأن اعطانا قدراً لا باس به من المعرفة عن حياة سكان وادي الرافدين.... (فتوحي، 1986، 28). فبواسطة تلك الألواح يستطيع الباحث الآثاري التوصل إلى مجموعة منظمة من المعلومات عن مسيرة تاريخ الاقوام القديمة وذلك من أجل التوصل إلى معرفة القوانين التي حكمت حركة تطور المجتمعات حينذاك (الراوي، 1985، 269)، فلقد بلغت الكتابات المنقوشة في مثل هذه الألواح المئات (كريمر، د. ت، 25)، وإن الكتابة السومرية المسمارية انتشرت في مختلف انحاء الشرق الادنى القديم وكتبت بها لغات عديدة منها السومرية والاكدية وقد طرأت عليها تطورات عديدة خلال تاريخها الطويل ويمكن تشبيهها بالحرف

اللاتيني المستخدم حالياً في كتابة العديد من اللغات الأوربية الحديثة وبالحرف العربي الذي تكتب به حالياً اللغة الفارسية وغيرها (مرعي، 1991، 18).

نشأة الكتابة:

إن الكتابة المسمارية، هي اقدم وسيلة اخترعت للتدوين (سليمان، د. ت، 9)، وهي من ابرز المنجزات الحضارية في بلاد الرافدين (علي، 1996، 141)، وإن اقدم النصوص الكتابية المعروفة حتى الان دونت باللغة السومرية، لغة سكان العراق والتي اكتشفت لأول مرة (سلمان، 2008، 25)، في مدينة الوركاء، المهمة ذات الماضي العريق (مجهول، 2003، 3)، وشملت الوركاء على اكثر من الف لوح صغير نقشت بالكتابة الصورية (سلمان، 2008، 25)، أي كانت كل صورة ترمز لشيء معين أي الشيء المراد كتابته أو الكلمة المطلوب التعبير عنها (سوسة، د. ت، 155). وان الألواح الأولى التي كشفت حتى الآن وصلتنا من الطبقة الرابعة بالوركاء (ينظر الشكل رقم (1)) (لويد، 1980، 61-62)، فضلاً عن استعمال البابليين الخط المسماري بالقلم الذي كتب به السومريون قبلهم (السامرائي، 1968، 55)، ونشأة الكتابة المسمارية في بلاد سومر حوالي الالف الثلث ق.م، واستمرت على هذا الحال حتى العصر الهلنستي وفرضت نفسها على الشعب الحثي في الأناضول ووصلت معرفتها إلى مصر منذ منتصف الألف الثاني ق.م كما استخدمها العلاميون، منذ العصر الأكدي (الكاتب، 2007، 24).

هذا ومن نافلة القول أن العلامات الأولى المستخدمة في كتابة صورية تمثل صورة الشيء المادي المراد التعبير عته فإذا اريد التعبير مثلاً عن السمكة رسمت الخطوط العامة لشكل السمكة، وإذا اريد التعبير عن الثور رسم رأس الثور وهكذا أي بمعنى أنه يرسم صورة الشيء المراد التعبير عنه أما كاملاً أو بصورة مختصرة (سليمان، د. ت، 9-10)، ولقد استطاع الكتبة السومريون وبالتدريج في القرن التي اعقبت اختراع الكتابة أن يحوروا ويطوروا طريقة كتابتهم إلى درجة فقدت فيها صفتها وهيئتها الصورية (كريمر، 1957، 24)، فأخذت الكتابة الأولى شكل التدوين الإداري في بلاد الرافدين أما في وادي النيل فقد اخذت شكل النصوص التذكارية على انصاب الملكية (لويد، 1988، 33).

انواع الكتابة

1. الكتابة الصورية:

كانت الكتابة في بداية ظهورها صورية، أي أنها كانت تصور الأشياء والمعاني والتعبير عن الشيء برسم صورته التي تدل عليها، وليس الألفاظ. فإذا أراد الإنسان حينذاك أن يكتب كلمة ((بيت)) فهو يصور لنا بيتاً على الواح الطين (ناصر، د. ت، 12-15)، هذا وقد عثر في اوروك على رموز صورية واعداد على الواح طينية (بوستغيت، 1991، 28).

وكانت العلامات الصورية تكتب لتمثل كلمات باللغة السومرية إذ أن اللغة السومرية تحتوي على نسبة كبيرة من الكلمات احادية المقطع، فقد سمح ذلك بالتطور إذ أصبحت العلامة لا تمثل مجرد معنى الكلمة ولكن كذلك صوت تلك الكلمة (ساكز، 1999، 381–382)، فالكتابة في بلاد الرافدين اخذت تبتعد سريعاً عن أن تبين صورا عن هذه الطريقة التي يمكن التعرف عليها، ومهما يكن من امر فإن السومريين هم مخترعوا الكتابات الصورية التي هي عبارة عن علامات تمثل الأشياء، وهي ذات جذور متعددة مكونة من مقطع واحد (روثن، 1980، 21). ورغم اعتمادها على الصور التي تقوم مقام الكلمات، والتي تعد غير وافية بالغرض (مهران، 1994، 364). إلا أنه لم يستغن عن استعمال الكتابة الصورية وذلك بسبب ملاءمتها حتى في ايامنا هذه فإذا كانت صورة جمجمة وعظام مرسوم على قنينة دواء فإن من يراها يفهم في الحال انها تعني شرحاً كاملاً وهو: ((إذا شربت هذا فانك سوف تموت)). ويستطيع كل شخص أن يقرأ هذا سواء أكان متعلماً أم امياً، لأنها ليست مرتبطة بأية لغة ويمكن للناس فهمها مهما اختلفت لغاتهم وقد ادت إلى ايجاد رموز أخرى لفائدتها السهلة في التفاهم (كييرا، 1962، 73). إن الطريقة الصورية في الكتابة محدودة جداً لا تسمح للكاتب بأن يعبر عن غير الأشياء المادية لكن الناس كانوا بحاجة إلى التعبير عن كثير من الأمور الأخرى التي لا يمكن رسم صورها وأشكالها، فكانت الخطورة الجديدة نحو كتابة أكثر تعبيرا هي استخدام الأسلوب الرمزي في الكتابة (سليمان، د. ت، 10–11).

2. الكتابة الرمزية:

وجد السومريون في جنوب العراق، أن الكتابة الصورية لم تعد قادرة على متابعة تقدم الإنسان وتنظيم اموره الاقتصادية والإدارية، فاضطروا إلى تبسيط كتاباتهم الصورية وبمرور الزمن حولوا الرسوم البسيطة إلى رموز (ناصر، د. ت، 14). ففي أول الأمر كانت الكتابة عبارة عن صور تعبر كل منها عن رمز معين، من ثم تطورت هذه الصور، فصغر حجمها وبسط شكلها إذ اصبح تدوينها بسرعة وبسهولة ثم تحولت إلى علامات صوتية تعبر عن الأصوات التي ينطق بها لا عن الصورة نفسها (إسماعيل، 1997، 114). فلذلك اهتدى الكاتب العراقي أنذلك إلى ابتكار الطريقة الرمزية وذلك برسم صورة لها بهيأة مختصرة لكي يتمكن بواسطتها من تدوين الأفكار والأشياء المعنوية، فأصبحت العلامات لا تعبر عن الشيء الذي تصوره فقط بل تعبر عن أفكار ذات صلة بما تمثله تلك العلامة (إسماعيل، د. ت، 223). فمثلاً صورة زوج من السيقان تعطي ليس فقط معنى السيقان ولكنه توسيع ليشمل معنى (المشي أو الركض) (ملرش، 1971، 37)، واصبحت صورة القدم لا تستخدم لتدوين القدم أو الرجل بل اتخذت لها معان جديدة مستمدة من معناها الأصلي مثل (ذهب، وقف، مشى، قام، اتى) (إسماعيل، د. ت، 223). اختلفت المقاطع الرمزية السومرية التي كانت تستعمل للمعاني نفسها من منطقة إلى اخرى

في جنوب بلاد الرافدين، وكانت بعض الأدوات اللغوية تستعمل في مناطق وتهمل في مناطق أخرى (حنون، 2001، 31).

3. الكتابة المقطعية أو الصوتية

يقصد بالمرحلة الصوتية إعطاء أصوات للعلامات تتناسب ولغتهم المجردة عن مدلولاتها الصورية والرمزية إذ رأى الإنسان أن هناك صعوبة بتصوير الأفكار المجردة كالحب والكرم والأمانة ولذلك نراه يعمد إلى جعل الصور الأولى التي استخدمها لتعبر عن الأشياء المادية والأفكار المنبثقة عنها في كتابة الجمل والكلمات وذلك على شكل أصوات وبتجميع أصوات عدة يتكون عندهم مقطعاً جديداً فإذا أراد كتابة كلمة مصر وضع أو لا المقطع الذي يعني الماء ثم المطر الذي يعنى السماء فصارت الكلمة آ–آ أي ماء السماء أي المطر. وإذ أراد كتابة كلمة حياة كانت تلفظ بالسومرية ti كتبت بصورة السهم الذي يلفظ باللغة نفسها ti أيضاً. وهذا يعني أن السومريين أخذوا من صورة السهم الصوت فقط دون ما ترمز إليه الصورة ليعبروا بها عن كلمة أخرى. وهذا يعني أن لكل من العلامتين سهما وحياة ولفظاً متطابقاً على الرغم من اختلاف المعنى. وبهذه الطريقة تمكن الكاتب العراقي من كتابة الأسماء والأشياء على هيأة مقاطع صوتية (باقر، 1956، 244؛ إسماعيل، د. ت، 224).

وغدت الطريقة الصوتية أشبه بطريقة استخدام الحروف الأبجدية في الكتابة، إلا أنه لم يصل العراقيون القدماء إلى الطور الهجائي Alphabetic أي استخدام الحروف الهجائية إذ حافظت الكتابة على شكلها المسماري إلى نهاية العصور التاريخية مع اتجاه نحو تبسيط واختزال في شكل العلامات وعددها. ويوضح الباحث كيرا سبب ذلك ((لم يكن لأنهم لم يعرفوا كيف يواصلون تطوير كتابتهم ولكنهم رفظوا أن يجروا على أسلوب كتابتهم تغيرات أخرى)) ويقارن هذه الحالة مع ما موجود في المدارس الرسمية في انكلترا وأمريكا فعند دخول أي شخص تلك المدارس كان عليه أن يتعلم التهجي الحديث في اللغة الانكليزية على الرغم من صعوبته في ذلك يقول: ((لماذا لا نغير التهجي في الإنكليزية؟ لقد امتعنا هذا العمل بسبب المحافظة على التقاليد من جهة وخشية انقطاع صلة الأمومة باللغة الإنكليزية وأدبها من جهة أخرى، لقد جابه الآشوريون والبابليون المعضلة نفسها مجابهة كاملة في القرون الأخيرة من امتداد حضارتهم وقد عرفوا جيداً أنهم يستطيعون بتغيرات قليلة)) ايجاد ألف باء لهم لأنهم رأوا كتاباً من بلاد أخرى يستعملون القلم والحبر ويكتبون بحرف ألف باء (كيرا، 1962، 83).

وكان من نتيجة استخدام الطريقة الصوتية أن أصبح لكل علامة مسمارية أكثر من قيمة صوتية واحدة وأكثر من معنى رمزي واحد كما كان لكل قيمة صوتية أو مقطع صوتي أكثر من علامة واحدة ولاستخدام الطريقة الرمزية والصوتية معاً كان على الكتبة أن يبتدعوا طرقا وأساليب تساعد على سهولة القراءة وتزيد في دقة التعبير فكانت العلامات الدالة التي توضع قبل الأسماء أو بعدها لتحديد نوعية

الشيء الذي تعود إليه وكانت النهايات الصوتية التي تمثل مقاطع صوتية تكتب عادة بعد العلامات الرمزية التي لها اكثر من معنى أو التي يمكن قراءتها اكثر من قراءة (ملرش، 1971، 37؛ كريمر، 1957، 405).

الطين مادة الكتابة

كان الطين مادة الكتابة الاساسية في بلاد الرافدين (باقر، 1976، 48). لأن الطين هو المادة الأكثر توفراً والأبسط صنعاً والأسهل منالاً في العراق، فضلاً على ذلك فإن العراقيين القدماء كانوا على خبرة طويلة في استعمال الطين الذي شيدوا منه المنازل وصنعوا الجرار، والأفران ومع اختراع الكتابة أضافوا استعمالاً جديدا للطين إذ صنعوا منه الألواح الخاصة بالكتابة (حنون، 2001، 21). وقد استخدموا النوع النقي (الحر) من الطين الخالي من الشوائب كالأملاح والرمال والأعشاب، وكانوا يحصلون عليه أما من الشاطئ بعد انحسار الأنهار، أو يقومون بتنقيته وصناعة الرقم منه بالشكل المطلوب (إسماعيل، د. ت، 242). ويظهر ذلك واضحاً على الوثائق المدونة في مواقع الآثار وعلى النصب التذكارية والأواني الفخارية (الدباغ، 1981، 142–143). اما طريق الكتابة عليه فقد كان الكاتب يطبع علامات مسمارية على الطين وهو ما يزال طرياً بواسطة قلم من الخشب أو القصب مثلث الرأس فيقوم بأملاء وجه الرقيم والحافة وبعد أن يجف الوجه يبدأ بأملاء الوجه الثاني (القفا) والحافة ايضا وفي بعض الأحيان تكون الحافات خالية من الكتابة، وبما أن مادة الطين تجف بسرعة لذلك وجب على الكاتب تدوين الرقيم كله قبل أن يجف الطين (إسماعيل، د. ت، 242–243)، وكان لكل فترة زمنية اشكالها الخاصة التي يمكن تمييزها عن غيرها كما كان لمضمون النص المدون على الرقيم علاقة بشكل الرقيم (سليمان، د. ت، 110)، أما إذا تعذر على الناسخ الكتابة على الرقم الكبيرة وذلك لأن الكتابة عليها يستغرق وقتاً ليس بالقصير، فيستخدم الناسخ قطعة قماش رطبة يغطي بها الرقيم (إسماعيل، د. ت، 242–243)، إن أهمية هذه النصوص كبيرة في معرفة تاريخ بلاد الرافدين ولا سيما للألف الأول قبل الميلاد (سليمان، د. ت، 49)، كونه وسيلة تستخدم لتأريخ الحضارات تأريخاً مطلقاً نسبياً بطريقة المقارنة بالنوع أو تاريخاً مطلقاً بالألواح الطينية والنقود واوراق البردي وغيرها (سفر، 1960، 5).

المدارس والمكتبات

ظهور أولى المدارس في بلاد سومر :

المدارس هي الأماكن التي أسست لنشر المعرفة ونشأت المدارس السومرية كنتيجة مباشرة لاختراع الكتابة وتطورها. أما الهدف الأساس لظهور المدارس السومرية ما يصح أن نسميه بالتخصص أو التدريب المهني أي أنها أسست لغرض تدريب الطلبة على الكتابة لاحتياجهم إليها للعمل في القصور

والمعابد واستمر هذا الغرض هدفاً اساسياً للمدرسة السومرية وعليه أصبحت المدرسة خلال نموها وتطورها المستمر في التوسع لمنهاجها مركز العلم والتعليم والثقافة والمعرفة في بلاد سومر (كريمر، 1957، 46). علما أن التعليم لم يكن عاماً ولا الزامياً إلا أنه كان ضرورياً جداً وبهذا نعرف أن أول مدرسة أسست في تاريخ الحضارة الإنسانية هي المدرسة السومرية وكان التعليم فيها منصباً على تعلم الكتابة وطريقة التدوين لممتلكات المعبد ومن ثم توسع ليشمل العلوم المختلفة وإن عدد الذين مارسوا فن الكتابة قرب على آلاف وهذا يؤكد أن عدد المدارس كان أكثر من واحدة (صاحب، 2011، 3). وعلى هذا فإن هناك أسبابا وجيهة للافتراض بأن عددا من المدارس المهمة والكبيرة والتي كانت تعد الكتبة قد ازدهرت في جميع ارجاء البلاد اضف إلى ذلك أن المدرسة السومرية كانت على خلاف معاهد التعليم الحديث فهي مراكز ايضاً لما يمكن تسميته بالتأليف الإبداعي ففيها كانت مبتكرات الماضي الأدبية تدرس وتستنسخ وفيها أيضاً كانت المؤلفات الجديدة. والمدرسة السومرية كانت في بدايتها ملحقاً للمعبد ولكن مع مرور الزمن أصبحت مؤسسة دنيوية وأصبحت ايضاً مناهج التعليم فيها دنيوية (كريمر، 1957، 50-52). ولعل هناك اشارة إلى شكل بناية المدرسة وهيأتها في احجية مبهمة ابتدعها استاذ سومري قديم:

تقرأ كما يأتي: (ما هو):
بيت كالسماء له محراث
يغطى بالثياب كانه ابريق من النحاس
والذي يقف على القاعدة كانه إوزة
يدخل فيه من عينيه مزودتان
ويخرج منه من عينيه مفتحتان؟
حله: أنه (المدرسة) (كريمر، 1957، 332-333).

وقد انشأت المدارس على يد فئة صالحة من الناس وهم المدرسون ليدرسوا المتعلمين ويثقفوهم ويختاروهم بحسب لوائح خاصة وتقدم لهم الجرايات والارزاق ويجاز فيها المتعلمون بما تعلموا من ضروب المعارف النقلية والعقلية. والمدرسة كفكرة ذات هدف معين ونظام خاص تميز فيه وسارت عليه وكان لها دور بارز لخدمة العلم ونظامها له مميزاته وخصائصه إذ هيأت لأجهزة الدولة عاملين في الجهاز الإداري والتعليم (أمين، 1960، 4)، إلا أنه كان من بينهم من كرسوا حياتهم للتدريس وتحصيل العلم وكان العديد من هؤلاء العلماء القدامى يعتمدون في معيشتهم كأساتذة الجامعات في الوقت الحاضر على رواتبهم من مهنة التدريس وكانوا يكرسون انفسهم للبحث والكتابة في أوقات فراغهم وكان يدفع للمدرسين أجورهم من الأجور الدراسية التي كانت تجمع من الطلاب (كريمر، 1957، 331).

إدارة المدرسة

تم العثور على عدد لا بأس به من النصوص المسمارية ذات العلاقة بالتعليم وأساليبه دونها كتبة كانوا يعدّون انفسهم معلمين في المدرسة. وقد امدتنا مثل هذه النصوص بمعلومات وافية عن اسلوب إدارة المدرسة والحياة الدراسية ومنهاجها ووسائل التعليم وأساليبه. ومن أبرز هذه النصوص ما يمكن أن نضع لها العناوين الأتية: (أيام الدراسة) و(المشاكسون في المدرسة) و(الكاتب وابنه الضال) و(حوار بين اجولا والكاتب). وتشير مضامين هذه النصوص إلى أنه كان يدير المدرسة (الاستاذ) أو (الخبير) أمّي ummia، وكان يلقب ايضاً بابي المدرسة في حين سمي التلميذ (ابن المدرسة)، وإذا ما تخرج عرف بأنه (ابن المدرسة في الايام الماضية). وكان الاستاذ المساعد يسمى (الأخ الكبير) وكان من جملة واجباته كتابة الألواح الجديدة المعدة للطلبة بغية استنساخها وفحص نسخ الطلبة والاستماع إليهم وهم يستظهرون واجباتهم اليومية. وكان يشرف على تدريس الطلبة عدد من المدرسين متخصصين في المواضع المختلفة فكان هناك (المشرف على الرسم) و(المشرف على اللغة السومرية) و (المشرف على اللغة الأكدية) وغيرهم، كما كان هناك مراقبون ومشرفون على حضور الطلبة وانتظام دوامهم. ولا تشير النصوص إلى الاجور التي كان يتقاضاها المعلمون والمدير إلا أنه يبدو انها كانت قليلة ولا تتناسب وجهودهم في تعليم التلاميذ مما دفع بعض أولياء امور التلاميذ إلى تقديم الهدايا إلى المعلمين بغية تحسين اسلوب معاملة ابنائهم، كما يشير إلى ذلك النص الذي وصف بأنه يتحدث عن ايام المدرسة والذي يذكر فيه بعض ما كان يلاقه الطلبة في اثناء دراستهم من صعوبات (سليمان، د. ت، 268). فقد بدأ النص بسؤال موجه إلى طالب المدرسة نفسه قائلاً : ((ايها الطالب، إلى أين كنت تذهب منذ ايامك المبكرة؟ فيجيب الطالب بقوله(كنت اذهب إلى المدرسة) ثم يسأل الكاتب: ((ماذا كنت تفعل في المدرسة؟)) ويعقب ذلك جواب الطالب بما يأتي: ((كنت استظهر لوحي، وآكل طعام غذائي و أهيئ لوحي الجديد لأكتبه واكمله، ثم يعينون لي درسي الشفهي. وفي العصر يخصصون لي درسي المكتوب. وعندما تنصرف المدرسة اعود إلى بيتي فادخل الدار، واجد ابي جالساً هناك فاطلع ابي على درسي المكتوب ثم استظهر له لوحي. فيسر ابي لذلك ... وعندما استيقظ في الصباح الباكر اواجه أمي واقول لها: اعطيني طعام غذائي لأنني اريد الذهاب إلى المدرسة فتزودني امي برغيفين وعندئذ اسرع بالمسير إلى المدرسة. وفي المدرسة قال لي المراقب: (لم انت متأخر؟) ثم دخلت وانا وجل خافق القلب في حضرة مدرسي، وحييته باحترام)). ولكن سواء قدّم ذلك التلميذ تحيته أم لم يقدمها فإن يومه ذاك في المدرسة كان يوماً عصيباً. فقد تلقى الضرب بالعصا من أكثر من شخص واحد من اعضاء هيأة التدريس من اجل ما ارتكبه من هفوات كالتكلم والقيام في الصف والخروج من باب المدرسة والأنكى من كل ذلك قول المعلم له: ((ان خط يدك في الاستنساخ رديء غير مرضٍ))، وضربه بالعصا من اجل ذلك. وهنا نفد صبر الصبي؛ لأنه فوق ما يتحمله، فأشار على ابيه ناصحاً اياه بأن خير ما يفعله في هذا الشأن أن يدعو المدرس إلى بيته ويسترضيه ببعض

الهداية ..... ((لقد استمع الأب إلى نصيحة ابنه التلميذ وجاء المدرس من المدرسة، وبعد أن دخل البيت اجلسه في اشرف مكان، وقام التلميذ على خدمته، واخذ يستعيد امام ابيه كل ما تعلمه من فن كتابة الالواح ثم ... قدم الأب للمدرس الهدايا ... وطابت نفس المعلم من هذا الكرم وحسن الضيافة فأخذ يطمئن ذلك الناشئ الطامح بتعلم الكتابة ....)). ويشير هذا النص كذلك إلى بعض اساليب التعلم التي كانت متبعة في المدارس إذ يذكر ان الدوام في المدرسة يبدأ منذ الصباح الباكر ويستمر حتى نهاية النهار، وكان على التلاميذ الالتزام بأوقات الدوام وإلا تعرضوا للعقوبة بالعصا، تماماً كما هو الأسلوب المتبع حتى الآن في مدارسنا الابتدائية. وكان يوم التلميذ يبدأ بدراسة اللوح الذي اعدّه في اليوم السابق، ومن ثم يقوم الأخ الكبير بإعداد لوح جديد له بغية تعلمه واستنساخه كما كان يقوم بفحص استنساخ التلميذ. وكان التعليم يبدأ بالقراءة (الاستماع إلى اللوح) ويعقب ذلك الاستنساخ واخيراً الكتابة. ويبدو انه كان للاستظهار كما له حتى يومنا هذا، دور كبير في سير دراسة التلميذ وسرعة تعلمه، ولا بد أن يكون للأخ الكبير وللمدربين المساعدين دورهم في توجيه التلميذ وتفسير معاني الكلمات والمصطلحات والعبارات شفوياً وتدريبهم على اسلوب القراءة والكتابة بشكل عملي إلا أنه لا سبيل إلى معرفة طبيعة واسلوب ذلك بشكل دقيق. ومن الطبيعي انه كان على التلميذ ان يحفظ اعداداً كبيرة من العلاقات المسمارية ومن العبارات والجمل والمصطلحات الفنية والقانونية لكي يصبح كاتباً مقتدراً وذلك لأن الكتابة المسمارية هي كتابة مقطعية وليست ابجدية فضلاً عن انها استخدمت العلامات الرمزية بكثرة. وكان من الصعوبة الكثيرة التي يواجهها التلاميذ هي ازدواجية اللغة إذ كان على التلميذ ان يتقن كلا من اللغة السومرية واللغة الاكدية (سليمان، د. ت، 269). وكان المعلمون يهيئون لتلاميذهم قوائم بالعلامات المسمارية بحسب بساطتها لتعلم البسيط منها أولاً ومن ثم يتدرجون معهم في تعليمهم العلامات الأكثر صعوبة وتعقيداً، ثم يتدرب التلميذ بعد ذلك على العبارات والجمل الفنية بالأسلوب نفسه وقد تم العثور على اعداد كبيرة من النصوص المدرسية التي تضمنت مثل هذه العلامات والعبارات والجمل، وكان إن قام المعلمون بتصنيف المفردات اللغوية إلى مجموعات استناداً إلى شكل كتابتها أو معانيها، وكان على الطلبة أن يحفظوا تلك المجاميع عن ظهر قلب ويتدربوا على استنساخها. كما كان الطلبة يتدربون على استنساخ التآليف الأدبية المهمة وترجمتها واستنساخها وظلت معرفتهم باللغتين السومرية والاكدية ضرورية حتى بعد زوال استخدام اللغة السومرية لغة تدوين ومخاطبة. من جانب آخر، اهتم الحكام والملوك والكهنة بجمع النصوص المسمارية والتآليف الدينية والأدبية وتنظيم المكتبات. وقد تم الكشف عن عدد من المكتبات القديمة المهمة كان اهمها واشهرها مكتبة أشور بانيبال التي ضمت أكثر من عشرين الف رقيم طيني ذات مضامين متنوعة. وقد عثر على مكتبات ملكية في كل من بابل ونقر والوركاء وكيش وكلخو وغيرها. ويبدو أنه كان هناك مسؤول عن حفظ الرقم الطينية في المكتبة وإن الرقم كانت تحفظ بمجاميع صغيرة في سلال من القصب أو صناديق من الخشب أو جرار من الفخار. وقد يوضع

إلى جانب كل مجموعة بطاقة صغيرة تحمل تعريف بالمجموعة ومضمونها. أما مضامين النصوص المسمارية المكتشفة فغاية في التنويع فقد ضمت مختلف العلوم والمعارف كالطب والفلك والرياضيات والسحر والتأليف الأدبية والدينية والنصوص التاريخية وذات العلاقة بالجغرافية وغيرها من العلوم البحتة والعلوم الإنسانية (سليمان، 268–270).

التعليم المنتظم:

كان التعليم المنتظم نتيجة مباشرة لتطور الكتابة وليس من المبالغة القول بأنه لولا وجود العلماء والمعلمين السومريين من ذوي الاتجاه العلمي الذين عاشوا في اوائل الألف الثالث ق.م وقدرتهم الابداعية ودأبهم المتواصل لما كان بالإمكان تحقيق انجازات العصور الحديثة العقلية والعلمية فمن بلاد سومر انتشر التعليم إلى ارجاء العالم كافة. أي أن بعض الكتبة كانوا يفكرون في عصر موغل في القدم يعود إلى 3000 ق.م بعقلية التدريس والتعليم وكان نتيجة لذلك ظهور عدد من المدارس في كافة انحاء بلاد سومر ودرست الكتابة تدريساً منتظماً وكان جميع الخريجين يوظفون ويتعلون المناصب المهمة في الدولة وصاروا من بين الاغنياء والمتنفذين في البلاد وقد جاءتنا مناهج المدرسة السومرية من المدارس نفسها ومن هذا الانتاج المدرسي ندرك بان منهج الدراسة في المدرسة السومرية كان مكونا من مجموعتين رئيستين. المجموعة الأولى يمكن وصفها أنها شبه عامية وقائمة على البحث العلمي والثانية بانها ادبية وخلاقة. والمجموعة الأولى الشبه علمية من المهم التأكيد على انها لم تنبعث عما يمكن أن نسميه بالحافز العلمي أي بالبحث عن الحقيقة من الحقيقة نفسها، انها بالأحرى نشأت وتطورت من هدف المدرسة الأساس نفسه الذي كان عبارة عن تعليم الكاتب كيفية كتابة اللغة السومرية لسد الحاجة في فن التعليم. أوجد معلموا الكتابة السومرية في التعليم كانت تقوم بالدرجة الأولى على التصنيف اللغوي أي انهم صنفوا اللغة السومرية إلى مجموعات من الكلمات والعبارات ذات الصلة ببعضها وكان الطلاب يجبرون على استنساخها واستظهارها إلى أن يصبحوا قادرين على استعادتها بسهولة واصبحت هذه الكتب المدرسية خلال الألف الثالث قبل الميلاد اكثر تكاملاً ونمت تدريجياً حتى اصبحت تقريباً قوالب ثابته وقياسية تتبع في جميع المدارس السومرية ففي (شروباك) القديمة (موطن نوح) السومري عثر خلال التنقيب على عدد كبير من الكتب المدرسية يرجح تاريخها إلى 2500ق.م وفي مجملها تكشف لنا هذه المجموعات عن معرفة واسعة بما يمكن التعبير عنه بمعاف عامة نباتية ومعدنية وفي الحقيقة لم يبدأ مؤرخوا العلوم ادراك اهميتها إلا في الوقت الحاضر. ولا يعرف حتى الأن إلا الشيء اليسير عن وسائل التعليم التي كانت تتبع في المدرسة السومرية وبينما لم تكن المدرسة السومرية موسعة بأي شكل من الأشكال يمكننا تسميته بالتعليم التقدمي فان المنهج كان موجها إلى درجة ما على الاقل توجيها تعليميا. وعلى هذا الاساس كان التلميذ يبدأ دراسته بتمارين ذات مقاطع لفظية بسيطة جداً. اما مسألة النظام فهو

من ضمن المناهج التعليمي وعلى ما يبدو أنه مشكلة رئيسة في المدرسة السومرية حتى أن المدرس كان لا يتردد باستخدام العصى ففي الوقت الذي كان فيه المدرسون يشجعون طلابهم على انجاز فروضهم انجازا متقنا عن طريق المديح والاطراء فإنهم كانوا يعتمدون بالدرجة الأولى على عصيهم في تقويم اخطاء الطلاب واعمالهم غير الصحيحة ولم تكن الدراسة بالنسبة للطالب امرا يسير (كريمر، 1957، 329–333). وفي هذه المقطوعة الأدبية ما يغني عن الكلام ففي ذلك قالوا: على لسان الطالب المتخرج

لقد قرأ مدير مدرستي لوحي وقال:

(هناك شيء غير موجود) وضربني بالعصا

وقال الشخص المشرف على الاناقة:

لقد تسكعت في الطريق ولم تنظم (؟) وضربني بالعصا

قال الشخص المسؤول عن السكون (اثناء التدريس):

(لم تكملت بلا اذن) وضربني بالعصا

وقال الشخص الموكل بالاصطفاف:

(لم استرخيت بالوقوف بلا اذن؟) وضربني بالعصا

وقال المسؤول عن حسن السلوك:

(لم نهضت بلا اذن ؟) وضربني بالعصا

وقال مراقب البوابة:

(لم خرجت من البوابة بلا اذن؟) وضربني بالعصا

وقال المسؤول عن اللغة:

لماذا لم تتكلم باللغة السومرية (الصحيحة ؟) وضربني بالعصا

وقال معلمي ال (اميا):

(خط يدك سيء لا يرضي) وضربني بالعصا.

ومن هذا نستنتج ان المدرسة السومرية كان لها نظام حازم في التعليم والأدب والسلوك وترتيب الهندام وطريقة الكلام اي أنه كان تعليما متميزا اثمر حضارة رصينة كان لها الاثر الكبير في ثقافة الشعوب اللاحقة إلى وقتنا الحاضر فكل شيء اساس واساس والتعليم والثقافة والمعرفة فالحضارة السومرية على الرغم من ان التعليم كان شاقا والعقوبة قاسية والتدريس رتيباً (كريمر، 1957، 329–340).

بداية ظهور المكتبات في الحضارات السومرية :

دونت الآداب السومرية على عدد كبير من الواح الطين الصغير ورتبت على هيأة سلاسل متتابعة وحفظت كل سلسة في اوعية من الفخار أو الخشب او سلال او جرار او على الرفوف وعلق معها بطاقة تعريفية سجل علها عنوان السلسة الأدبية ونتج عن هذا نظام الفهرسة واقدم انظمة المكتبات التي عرفت باسم بيت الالواح (صاحي، 2011، 4). وبذلك كان لهذا الاسلوب من الكتابة والحفظ اثر كبير في ظهور المكتبات في بلاد الرافدين وضمن هذه المكتبات ادبيات الماضي ومعاجم وقوانين واساطير وملاحم مع دليل على هيأة رقيم طيني بعنوان التأليف الادبي، العلمي، اللغوي، الفلكي، الرياضي، الطبي. وكان الاله ختني مخصص لحفظ المكتبات التي اشهرها مكتبة نفر التي ضمت ثلاثة وخمسين الف لوح ومرجع. وفي فترات لاحقة عثر على مكتبة اشور باني بال في نينوى التي شغلت حيزا من قصورها وضمت حوالي ستة وعشرين الف لوح جميعها من المكتبات الاخرى وخاصة مكتبة بابل وكوثا وبورسبا ونفر (الجادر وفاضل، د. ت، 83). ومكتبة سبار التي اكتشفها بعثة التنقيب التابعة لقسم الاثار لكلية الآداب – جامعة بغداد، وكانت هذه المكتبة مقسمة على رفوف افقية واخرى عامودية وعمق كل رف سبعين سم وبلغ مجموع الرفوف ستة وخمسون رف وضمت هذه المكتبة كتب في الفلك والتاريخ والجغرافية والرياضيات وعلوم اللغة والقوانين والاساطير ويضن أنها تعوج إلى القرن السادس قبل الميلاد (كريمر، 1957، 20).

وقد كان من دواعي الفخر لدى الملك اشور بانيبال ان يقول بانه كان يجمع الكتب من اجل ان يُغني بها مكتبته في عاصمته نينوى. والتي ضمت الوف المدونات في شتى صنوف المعرفة (مظلوم ومهدي، 1917، 41).

الأدب

(الملاحم والقصص والأساطير)

خلفت حضارة وادي الرافدين إرثا أدبياً غزيراً يتصف بالإضافة والتنوع. ويعدّ الأكثر قدماً حتى بالمقارنة مع أدب حضارة وادي النيل (باقر، 1976، 22). إن اقدم النصوص السومرية المعروفة حتة الأن يعود تاريخها إلى 2400 ق.م وهي أسطورة (أنليل) –إله الجو– وأخته نتخرساك. وحسب كريمر. فالسومريون: ((كانوا بلا أدنى شك أول من أوجد وطور الأدب الملحمي المؤلف من روايات قصصية بطولية وضعت في صيغ شعرية ...)) (علي، د. ت، 220).

لم يبدأ تدوين أدب وادي الرافدين إلا بعد مرور حوالي ألف عام على اختراع الكتابة ذلك أن الأدب القديم كان يُنشد أمام الجمهور، ويُسمع في احضان الأمهات قبل ظهور الكتابة. وبعد حوالي 2000ق.م

واستقرار الكتابة وانتشارها، ظهرت الحاجة التعليمية والثقافية إلى الأدب المدون. يقول د. ساكس ((إن الأدب القديم كان شيئاً يقص ولم يكن شيئا يقرأ بصمت... فقد كان له وجود حقيقي فقط عندما يقص (ربما بمصاحبة ممثل) أمام الجمهور... كان ينقل شفاهاً من راوية مقتدر (ربما كان يعمل في البلاط أو المعبد) إلى تلاميذه))..... (ساكز، 1999، 82-83).

وقد اتصف المؤرخون في بلاد الرافدين ببعض الخصائص :

1- قدم ادب وادي الرافدين.
2- محافظة ادب وادي الرافدين على صيغتهِ الأصلية.
3- يعد الأدب العراقي القديم مرآة صادقة تعكس لنا أسس الحضارة العراقية القديمة واتجاهاتها وعقائدها واصول المجتمعات.
4- الطابع الاسطوري الشعري الذي غلب على مختلف النصوص الأدبية التي وصلنا معظمها بصيغة قصص وملاحم واساطير لا تتعد على النقد والاستنساخ المنطقي والتأمل في الأشياء.
5- لقد ترك الأدب العراقي أثراً واضحاً في أداب الامم الأخرى القديمة (سليمان، د. ت، 272).
6- يلاحظ في النصوص الأدبية العراقية القديمة بصورة عامة أنها تميزت بالمقومات الأساسية التي تميزت بها للآداب العالمية المشهورة والتي جاءت بعدها بفترات طويلة سواء اكان ذلك من ناحية الأسلوب وطرق التعبير أم من ناحية الموضوع والمحتوى والصور الفنية والاصالة والجرأة واهمية الموضوعات التي تناولها (باقر، 1976، 48).
7- ومما يلاحظ في النصوص الأدبية العراقية القديمة شعراً كانت أم نثراً، قصة أو اسطورة أو ملحمة، انه يندر ذكر اسماء مؤلفيها من الأدباء والشعراء، وان ما ورد من اسماء في بعض النصوص الأدبية التي وصلتنا هي في الواقع اسماء النساخ أو جامعي الملحة أو الأسطورة، وقد يكون بعضهم، وقد يكون بعضهم، ولا سيما في حالة النسخ الأدبية القديمة، مؤلفو تلك النصوص أو منقحيها وجامعيها في اشكالها النهائية ويمكن تفسير ذلك على أن معظم النتاج الأدبي الذي وصلنا من بلاد الرافدين يمثل تراثاً قوميا شاركت في انتاجه عدة اجيال من الشعراء والمنشدين والقصاصين ولم ينفرد في انتاجه اديب أو شاعر واحد، شأنه في ذلك شأن الملاحم والقصص الشعبية عند مختلف الشعوب مثل الف ليلة وليلة والاوديسّا والإلياذة (سليمان، د. ت، 274).

أنواع الادب في بلاد الرافدين

1- اساطير الخليقة :

تعد اساطير الخليقة التي وصلتنا من بلاد الرافدين من اقدم الاساطير المدونة المعروفة حتى الآن. والاساطير كما هو معروف هي مجرد نتاج الخيال وشخوصها وابطالها من الالهة وقد حاول العراقيون القدماء تصور بداية خلق الكون واصل الاشياء وخلق الانسان ووضعوا لذلك قصصاً خيالية جاءت على هيئة اساطير دونت بأسلوب شعري. وقد وصلتنا اساطير مدونة باللغة السومرية واخرى جاءتنا مدونة باللغة الاكدية، إلا أن اقدم الاساطير التي وصلتنا لا يتعدى تاريخها الألف الثاني قبل الميلاد. والملاحظ أن النصوص المدونة باللغة السومرية قصيرة وناقصة في حين كانت النصوص المدونة باللغة الاكدية، وهي من العصر البابلي القديم (حدود 2000-1600 ق.م) اكثر تفصيلاً وفي حالة حفظ جيدة (باقر، 1976، 72).

2- الملاحم

تولف ملاحم البطولة موضوعاً بارزاً في أدب بلاد الرافدين، وتعد النماذج المكتشفة منها روائع الادب العالمي، وبصورة خاصة ملحمة جلجامش التي تعد اقدم نموذج لأدب الملاحم عرف حتى الآن. ومما يلاحظ في الملاحم أنها دونت بأسلوب شعري اسطوري إلا أن ابطالها وشخوصها كانوا من البشر بالدرجة الأولى، ومنهم شخصيات تاريخية معروفة، كشخصية جلجامش نفسهِ (باقر، 1976، 100-104).

3- ادب الحكمة :

ومن ضروب الأدب الأخرى التي طرقها العراقيون القدماء ما يوصف بأدب الحكمة wisdom literature. ويتضمن أدب الحكمة بدوره أنواعا عدة فهناك الحكم والأمثال والوصايا وموضوع الخير والشر وما اصطلح على تسميته بالعدل الإلهي. ومما يلاحظ أن النصوص التي تم التعرف عليها الأن تؤكد المستوى الرفيع الذي وصلة أدب الحكمة عند العراقيين القدماء إلى درجة يمكن مقارنتة مع الآداب العالمية المعروفة. وفيما يأتي نماذج متخبة من بعض هذه الأنواع (ساكز، 1999، 483-484).

وينقسم ادب الحكمة إلى

أ- الأمثال

ب-النصائح والحكم

ج- العدل الإلهي (ساكز، 1999، 497؛ باقر، 1976، 158-160).

4- أدب المناظرة والمفاخرة

وردت جملة قطع أدبية في اللغتين السومرية والبابلية، والمراجع أنها تعود أصلاً إلى الأدباء والسومريين. وربما جاء منشأ هذا النوع من الأدب نتيجة ممارسة عادة التحاور والتفاخر الثنائي في أثناء الاحتفالات والأعياد في بلاطات الحكام والملوك، ولعل الملك نفسه كان يمثل إله الحكم الذي يحتكم إليه المتناظرون (علي، د. ت، 373-374).

5- أدب السخرية والهزل :

عرف العراقيون القدماء أدب السخرية والهزل، إلا أن طبيعة هذا الأدب واستخدام مؤلفيه التعبيرات اللغوية الدقيقة، والتي تنطوي عليها الفكاهة والسخرية عادة حالت دون تعرفنا على الكثير من نصوصه، ومع ذلك أمكن تشخيص عدد محدد من النصوص الأدبية التي يمكن عدها من هذا الصنف من اصناف أدب بلاد الرافدين. ودراسة هذا العدد المحدود من النصوص يشير إلى تشبيهها الكبير بقصص كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة (باقر، 1976، 182-186).

6- ادب الصلوات والتراتيل والأدعية :

وهو صنف آخر من أصناف النصوص الأدبية والتي تم العثور على نماذج كثيرة منها وتعد بعض الأدعية والصلوات من أروع ما وصلنا من النتاج الأدبي الشعري وتبدأ الصلوات بالابتهال إلى أحد الآلهة وتمجيده ومن ثم تذكر توسلات المصلي وشكواه وأخيراً يذكر المديح والثناء للآلهة. وبعض التراتيل الدينية من هذا النوع تتضمن أكثر من 200 بيت من الشعر. وإلى جانب الصلوات والتراتيل والادعية هناك نصوص الرقى والتعاويذ التي كانت تنظم لطرد الأرواح الشريرة المؤذية، والشياطين التي كانت في ظنهم تسبب الأمراض كما كان يقصد منها أيضاً إبطال أثر السحر والسحرة (سليمان، د. ت، 288-289).

7- أدب الرثاء :

عرف العراقيون القدماء أيضا أدب الرثاء إلا أنه كان مقصوراً، حسبما لدينا من معلومات، على رثاء المدن والسلالات الحاكمة وانهيارها مثل رثاء تدمير مدينة اور في نهاية عصر سلالة اور الثالثة (حدود 2006 ق.م) ورثاء بلاد سومر وأكد على أيدي العيلاميين وهي مؤلفة من أكثر من 500 بيت شعر خصصت لرثاء بلاد سومر وأكد. وهناك قصيدة ثالثة سميت بلعنة أكد، وهي الأخرى باللغة السومرية ترثي نهاية مدينة أكد وتدميرها على أيدي الأقوام الكونية. وقد نسب كاتن القصيدة تدمير المدينة على أيدي البرابرة الكوتيين إلى غضب الآلهة على الملك الأكدي نرام-سين بسبب تحديه للإله انليل وتدميره مدينة نفر ونهبه معبدها وانتهاكه حرماتها فسلطت عليه الآلهة هذه الأقوام الهمجية التي قضت عليه وعلى مملكته (سليمان، د. ت، 289).

اثر الثقافة العراقية على بقية الحضارات

أولاً: التأثير على بلاد عيلام وفارس:

لقد كان تأثير وادي الرافدين في ميداني الكتابة واللغة على بلاد عيلام واضحاً جداً، فاقدم أنواع الكتابة وهي الكتابة الصورية انتقلت إلى مدينة سوسة عاصمة بلاد أيلام، يقول الباحث فلكنشتاين في هذا المجال: ((إن الكتابة السومرية لم يقتبسها القطر المجاور عيلام بل إن التعرف على اختراع السومريين للكتابة قد حفز العيلاميين على اختراع كتابة خاصة بهم في أواخر العهد الشبيه بالكتابي وهي الكتابة العيلامية الأولى)). فقد عثر في سوسة على عدد من الرقم الطيني يرجع تاريخها إلى حوالي 2900 ق.م وعليها كتابة تشبه الكتابة الصورية السومرية، حيث استخدم العيلاميون في كتابته علامات صورية تشبه العلامات السومرية إلا أنها أكثر بدائية. ربما أخذت عن الكتابة الصورية السومرية وبمرور الزمن تطورت الكتابة العيلامية إلى إشارات حرفية ومقاطع خطية قبل أن تصل إلى شكلها الأخير وفي ذلك إشارة إلى أنها ربما قد تكون مرت بالمراحل نفسها التي مرت بها الكتابة المسمارية ثيل أن تصل إلى شكلها النهائي، واستمر استعمال هذا الخط إلى العصر الأكدي، عندما وقعت بلاد عيلام ضمن حدود الدولة الأكدية حيث استخدم العيلاميون أسلوب الكتابة المسمارية من بلاد الرافدين (فلكشتاين، 1986، 56؛ الخاتوني، 1992، 58-61).

ثانياً: التأثير على بلاد الأناضول (آسيا الصغرى)

إذ انتقلنا إلى الجهة الشمالية نلاحظ إن الحيثيين استعادوا الخط المسماري على الرغم من أن اصل لغتهم هو هندو أوربي. فقد عثر في حاتوشاش (بوغازكوي حالياً) عاصمة المملكة الحيثية على أرشف ملكي ومكتبة حوت عشرة آلاف لوح طيني مكتوبة عليها بالخط المسماري وبعدد من اللغات منها الحيثية والأكدية (أ. د جرين، 1963، 157). اللتان استخدمها الملوك الحيثيون في وثائقهم الرسمية واستخدموا أيضاً اللغة السومرية إذ هناك إشارات إلا أنها استخدمت من الكتاب الحيثين إذ جمعوا معاجم مبنية على قوائم العلامات السومرية. وهذا ما عبر عنه الباحث كييرا إذ قال: ((إذا ما خالط أناس يجهلون الكتابة أناساً أوفر منهم مدينة يعرفون القراءة والكتابة فإنهم لن يقتبسوا منهم أسلوب الكتابة فحسب بل اللغة أيضاً لأن اللغة والكتابة في البداية بالنسبة إلى المقتبس صنوان لا يفترقان ومن المحتمل أنه ظهر لأحد التجار فيما بعد أنه ليس من الضروري استعمال اللغة الأجنبية في المعاملات التجارية وإنما يمكن اقتباس الكتابة فقط لكتابة اللغة المحلية بها)). وبالطبع لم يكن بالإمكان نقل الكتابة دون وجود مدارس للتعليم لذلك كان هناك مدرسة للكتابة في قانش وقد عثر فيها على عدد من النصوص الأدبية (كييرا، 1962، 229).

ثالثاً: التأثير على بلاد الشام:

لقد كان للمظاهر الحضارية العراقية القديمة حضور (مبكر في مناطق الفرات الأوسط وشمال سوريا ومن هذه المدن التي تأثرت بشكل واضح بالمقومات الحضارية العراقية هي مدينة ماري التي تقع على الفرات ويمثلها أطلال تل الحريري على بعد ستة أميال إلى الشمال من البو كمال في سوريا حيث كانت واقعة تحت النفوذ السياسي والحضاري لبلاد وادي الرافدين وقد كشفت التنقيبات عن سجلات القصر الملكي الذي ضم أكثر من 20 آلف رقيم مدونة بالخط المسماري واللغة الأكدية (كاكو، 1951، 299-303).

رابعاً: التأثير على بلاد النيل:

وإذا غادرنا بلاد الشام إلى مصر نرى التأثير العراقي مرة أخرى فالمصريون قد أخذوا العديد من المظاهر الحضارية ومنذ الفترات المبكرة من سكان الرافدين (زايد، 1984، 25)، ومن بين هذه المظاهر الحضارية كانت الكتابة. إذ تعود الصلات الحضارية بين مصر وبلاد الرافدين إلى الفترات المبكرة من العصر الشبيه بالكتابي والبدايات الأولى للعصور التاريخية إذ إن كثيرا من المنجزات الحضارية للحضارة الرافدينية وصلت إلى مصر واقتبس منها المصريون الكثير ويؤكد هذا الرأي الباحث فرانكفورت بالقول: ((وما يتعلق بالمرحلة التكوينية للحضارة المصرية الفترة الشبيهة بالكتابية تدل على أن المصدر الذي اقتبست الثقافة المصرية بعض عناصر عربية في بداية العصور السابقة لعهد الأسر وفي الأزمنة الشبيهة بكم الأسر كان من بلاد ما بين النهرين. فـ ((التأثير العراقي كان أحد العوامل التي أدت إلى ولادة المدينة المصرية الفرعونية)) (فرانكفورت، د. ت، 138).

References

1- A. D. Green, The Hittites, (London: 1952), translated by Muhammad Abd al-Qadir Muhammad, (Baghdad: 1963).
2- Abd Mar'i, The History of Mesopotamia from the Earliest Ages to 539 BC, (Damascus: 1991).
3- Abdul Aziz Sultan Al-Khatuni, Iraq's relations with Elam until the year 639 BC, unpublished master's thesis, (Mosul: 1992).
4- Abdul Hamid Zayed, When and Where Did Civilization Began (Kuwait: 1984).
5- Adam Fleckstein, ((Prehistoric and Historical Ages in West Asia)) in the Near East Early Civilizations, translated by Amer Suleiman, (Mosul: 1986).
6- Ahmed Sousa, Mesopotamian civilization between the Semites and the Sumerians, (Baghdad: D. T.).
7- Al-Jabbar Nasser, The Story of Writing from Clay Tablets to Paper, (Beirut: DT).
8- Amer Suleiman, ((Language and Writing)) in Mosul's Cultural Topics, (Mosul: 1991), vol. 1.
9- Amer Suleiman, Cuneiform Writing and Arabic Letters, a historical-linguistic study of the cuneiform texts discovered in the Assyrian city of Tarbis, (Mosul: D.T.).
10- Amer Suleiman, Iraq in Ancient History, Brief Political History, (Mosul: D.T.).
11- Andra Kaku, ((Looks at the Amorite Language in Mari and Their Gods)) in the Syrian Archaeological Annals, translated by George Murad, vol. 1, vol. 2, (1951).
12- Anonymous author, The History of Iraq in the Seventh Century BC, translated by Sami Saeed Al-Ahmad, (Baghdad: 2003).
13- Bahija Ismail, ((Writing)) in the Encyclopedia of Iraqi Civilization, Part 1.
14- Edward Kiera, They wrote on the clay the number of Babylonian Speaks Today on clay, translated by Mahmoud Hussein Al-Amin, (Baghdad: 1962).
15- Ernst Doppelhofer, Symbols and Miracles, translated by Imad Hatem, (Tunis: 1983).
16- Fadel Abdel Wahed Ali, ((Holidays and Celebrations)) Iraqi Civilization, Part 1.
17- Fadel Abdul Wahid Ali, From Sumer to the Torah, 2nd edition, (Baghdad: 1996).
18- Farouk Nasser Al-Rawi, ((Sciences and Knowledge)) in the Encyclopedia of Iraqi Civilization, (Baghdad: 1985), vol. 2.
19- Fawzi Rashid, Grammar of the Sumerian Language, (Baghdad: 1972).
20- Fouad Safar, Assyria, (Baghdad: 1960).
21- Harry Sachs, The Power of Assyria, translated by Amer Suleiman, (Baghdad: 1999).
22- Henry Frankfurt, The Dawn of Civilization in the Near East, translated by Mikhail Khoury, 3rd edition (Beirut: DT).
23- Hilmi Mahrous Ismail, The Ancient Arab East and Its Civilization, Mesopotamia, the Levant, and the Ancient Arabian Peninsula, (Damascus: 1997).
24- Hussein Ahmed Salman, Writing History in Mesopotamia in Light of Cuneiform Texts, (Baghdad: 2008).
25- Hussein Amin, Al-Mustansiriya School, (Baghdad: 1960).
26- Ibrahim Al-Samarrai, Linguistic and Geographical Distribution in Iraq, (Egypt: 1968).
27- Ig. any. El Malrash, The Story of Civilization in Sumer and Babylon, translated by Atta Bakri, (Baghdad: 1971).
28- Israel Wolfensohn, History of the Semitic Languages, (Egypt: 1929).
29- John Oates, Babylon, An Illustrated History, translated by Samir Abdul Rahim Al-Chalabi (Baghdad: 1990).
30- Karl Brockelmann, Semitic Philology, translated by Ramadan Abdel Tawab, (University of Riyadh: 1997).

31- Khaled Al-Azami, ((From the Origins of the Akkadian Language)), Sumer Magazine, (1997), vol. 49, vol. 1+2.
32- Leo Oppenheim, Mesopotamia, translated by Saadi Faydi Abd al-Razzaq, 2nd edition (Baghdad: 1986).
33- Margaret Rothen, Sciences of the Babylonians, Arabized by Yusuf Jima, (Beirut: 1980).
34- Mary Fatohi, Iraqi Libraries, Historical Studies of the Origins and Development of the Library, (Baghdad: 1986).
35- Muhammad Bayoumi Mahran, Phoenician Cities, Ancient History of Lebanon, (Beirut: 1994).
36- Nael Hanoun, Cuneiform Dictionary, Dictionary of the Akkadian, Sumerian and Arabic Languages, (Baghdad: 2001), vol. 1.
37- Nicholas Postgate, Iraq's Civilization and Antiquities, An Illustrated History, translated by Samir Abdul Rahim Al-Chalabi, (Baghdad: 1991).
38- Saif al-Din al-Kateb, Atlas of Ancient History, (Beirut: 2007).
39- Sami Saeed Al-Ahmad, Introduction to the History of the Ancient World (Mesopotamia), Iraq until the Akkadian Era, (Baghdad: 1978), vol. 1, vol. 1.
40- Samuel Kramer, from the Tablets of Sumer, translated by Taha Baqir, (Cairo: No. T.).
41- Samuel Noah Kramer, from the Tablets of Sumer, translated by Taha Baqir, (Baghdad: 1957).
42- Samuel Noah Kramer, Sumerian Mythology: A Study of Spiritual and Literary Achievements in the Third Millennium BC, translated by Yusef Daoud Abdel Qader, (Baghdad: 1971).
43- Seton Lloyd, Antiquities of Mesopotamia, translated by Sami Saeed Al-Ahmad, (Beirut: 1980).
44- Seton Lloyd, The Art of the Ancient Near East, translated by Muhammad Darwish, (Baghdad: 1988).
45- Taha Baqir, "A Study of the Writings Mentioned in Cuneiform Sources," Sumer Magazine, Volume 9, Part 2.
46- Taha Baqir, A Brief History of Science, Ancient Knowledge, and Arab-Islamic Civilizations, (University of Baghdad: 1980).
47- Taha Baqir, From Our Linguistic Heritage, (Baghdad: 1980).
48- Taha Baqir, Introduction to Mesopotamian Literature, (Baghdad: 1976).
49- Taha Baqir, Introduction to the History of Ancient Civilizations, Nile Valley Civilization, p. 2 (Baghdad: 1956), vol. 2.
50- Taha Baqir, The Epic of Gilgamesh and Other Stories about Gilgamesh and the Flood, 4th edition, (Baghdad: 1980).
51- Taqi Al-Dabbagh, Introduction to Archaeology, (Iraq: 1981).
52- Tariq Mazloum and Muhammad Ali Mahdi, Nineveh, (Baghdad: 1917).
53- Walid Al-Jader and Abdul-Ilah Fadel, The Role of Science and Knowledge in Mesopotamia (Baghdad: CT).
54- Yes. Royston Pike, The Story of the Assyrian Antiquities, translated by Youssef Daoud Abdel Qader, (Baghdad: 1972).
55- Zuhair Sahib, The Song of Stories, a study in Sumerian civilization, (Baghdad: 2011).